ذو الطبيعة المتذبذبة والتكتيكية تجاه م.ت.ف. وباستطاعتنا الاعتقاد، استناداً إلى سجل هذا الموقف، منذ أيلول (سبتمبر) في الاردن، بأن ذلك لم يكن مدهشاً. لقد انصبّ اهتمام موسكو على عدم اندلاع مواجهة شاملة، غير مرغوب فيها، بين سوريا واسرائيل؛ ولذلك لجأت إلى الحد الادنى الضروري من الدبلوماسية، لمنع ذلك[٥٠]. ولأن الاتحاد السوفياتي لم يكن راغباً في المجازفة بمواجهة مع الولايات المتحدة في المنطقة، اتخذ موقفه، الذي بات معروفاً للجميع، بعد ان تأكد ان سوريا لن تواجه خطراً مباشراً، اضافة إلى ان ادراك موسكو للوجود الفلسطيني، وحتى الوجود السوري في لبنان، لم يكن، بأي حال، ليحسن، بشكل نوعي، موقفها في الشرق الاوسط[٥١].

وعقب خيبة الامل التي منيت بها المنظمة من الموقف السوفياتي، ارتفعت أصوات فلسطينية مسؤولة تجهر، علناً، بانتقادها هذا الموقف. نشير، في هذا السياق، إلى تصريحات كل من صلاح خلف (ابو اياد)، وفاروق القدومي (أبو اللطف)، وخالد الحسن، وهاني الحسن؛ ويذهب حواتمه إلى القول ان الاتحاد السوفياتي «اكتفى بالضغوط السياسية والدبلوماسية» التي كان تأثيرها «محدوداً، ان لم يكن صفراً»[٥٢].

ان الدلائل التي تشير إلى الفتور في العلاقات الفلسطينية ـ السوفياتية، في أعقاب مرحلة ما بعد لبنان، اكثر من ان تحصى. ولعل خير دليل على ذلك، ما بدا في المناقشات التي أُجريت داخل دورة المجلس الوطني الفلسطيني السادسة عشرة، التي عقدت في شباط (فبراير) ١٩٨٣، حيث برزت، بوضوح، مدرستان: الاولى، ترى في الاتحاد السوفياتي «حليفاً استراتيجياً» لا غنى عن علاقة تحالفية معه؛ والثانية، ترى فيه صديقاً تشتق صداقته من اعتباره «دولة عظمى لها حساباتها الخاصة»[٥٣]. وبالنسبة إلى موسكو، فان النقاش في المجلس الوطني، حول مقولة «التحالف»، لم يؤثر في علاقتها بالمنظمة، بقدر ما أثر في تلك العلاقة النقاش المتعلق بمستقبل الخطط السياسية للمنظمة، والمتعلقة، اساساً، بالعلاقة مع الاردن، ومصر، والموقف من مشروع ريغان. ولما كانت هي، نفسها، مدفوعة الى تحسين علاقاتها مع هذين البلدين العربيين، فانها كانت، في تعليقاتها، تميز بين اتصالات رئيس اللجنة التنفيذية مع عمان والقاهرة، وبين مشروع ريغان. بل ان اندروبوف، نفسه، كان عبّر، في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣، في اثناء اجتماع له مع وفد م.ت.ف. عن «التفهم السوفياتي لموقف قيادة منظمة التحرير الفلسطينية»، مفضلاً اتحاداً كونفدرالياً بين دولة فلسطين المستقلة وبين الاردن[٥٤]. وهذا ولا شك هام، ويعطي «شهادة في حسن السلوك»، غير ان تأكيد موسكو ان لا مصلحة لـ م.ت.ف. في مشروع ريغان، كان، وبحق، نوعاً من التشكيك في الصفة التمثيلية لقرارات دورة المجلس الوطني السادسة عشرة؛ تلك القرارات التي انتقدت مشروع ريغان، ولكنها تركت الباب «منفرجاً، بعض الشيء»، لجهود التقارب مع الملك حسين، من أجل ايجاد وسيلة للتقرب من واشنطن. وتجاهلت موسكو ذلك في معظم تقاريرها؛ بل انها غيّرت اصطلاح م.ت.ف. في شأن مشروع ريغان، مستعملة تعبير «مرفوض» بدلاً من «غير مناسب». وبالنظر إلى عدم استطاعتها العثور على ما يؤكد ذلك في تصريحات رئيس اللجنة التنفيذية، أعطت اهتماماً أكبر من المعتاد لخطاب ألقاه د. جورج حبش، ولتعليقات أصدرت، من هنا وهناك، لحبش وحواتمه وخالد الفاهوم، تجمع، كلها، على رفض مشروع ريغان[٥٥]. وصعّدت موسكو حملتها، فقال الكسندر بوفين، أحد محرري الـ «ازفستيا» في مقابلة تلفزيونية: «ان اقامة الدولة الفلسطينية هي امكانية قائمة، نظراً لوجود كل المؤسسات والاعتبارات المادية والمعنوية لدى م.ت.ف. باستثناء الارض»، ليصل إلى تأكيد «ان العقبة الوحيدة امام هذه الامكانية، تتمثل في مشروع ريغان»[٥٦].